الفصل الرابع عشر

القاهرة.. والفراعنة

يمكن أن يعتبر هذا الفصل القصير سلبيًّا، فليست القاهرة فرعونية فى شىء ولكنها تحوى المتحف المصرى فى ميدان التحرير، ويضم أفخر مجموعة من الآثار المصرية فى العالم. ويمكنك فى مقابل قرشين التجول فى أكثر من مائة غرفة فيه تضم بقايا مدنية ابتدأت منذ عرف الإنسان معيشة المدن. ويمر سيل لا ينقطع من الزوار من كل أنحاء العالم أمام أثاث توت عنخ آمون المتين أو يواجه موميات رمسيس الثانى وسيتى الأول (وكانت الموميات فى عهد فاروق محجوزة عن أعين السواح، فقد اعتبر هذا الملك هؤلاء الفراعنة ملوكا سابقين يجب أن

تضفى عليهم جلالة الملوك، أما الجمهورية الديمقراطية فقد سمحت - نظير رسم قدرة ٢٥ قرشًا - بدخول القاعة رقم ٥٢ حيث تعرض المومياات حاليًا). ويفخر القاهريون بمتحفهم ويعتقدون أنه السبب الرئيسى لحضور ٤٠٠,٠٠٠ زائر سنويًا للبلاد. ولكن الأسماء التى أشرفت على هذا المتحف ليست مصرية فقد أنشأه أوجست مارييت الفرنسى وصمم مبانيه نارسل بورجنون عالم المصريات، والدراسات التى بدأت بأوروبيين أمثال شامبليون وماريت لم تشمل المصريين بأعداد كبيرة إلا أخيرًا..

وإذا كانت القاهرة مدينة إسلامية وليست فرعونية، فإنها فى نفس الوقت مركز باهر للدراسات الفرعونية. وترجع جاذبيتها العظمى فى هذا المجال - حتى للسائح الخالى البال - إلى قربها من الجيزة وسقارة. وهناك عرض بالصوت والضوء عند الأهرام يقام كل ليلة يسترجع ألوف السنين التى سبقت البطالسة. ويستقبل أبو الهول - وقد تجلى بعد إزالة الرمال من حوله - اشعة

الشمس كل صباح على جبينه وهو يحدق بلا مبالاة ناحية المدينة. ويمكنك أن تشاهد - وأنت واقف على جبل المقطم عند الضاحية الجديدة - سلسلة من الأهرامات تمتد جنوبًا حتى نهاية البصر. وإذا وصلت إلى محطة القاهرة قادمًا من الإسكندرية أو بور سعيد فستشاهد خارجها تمثالاً ضخمًا لرمسيس الثانى - الذى اكتشف قريبًا فى سقارة - واقفًا وحيدًا مديدًا تخرج من أقدامه نافورات من المياه

ولكن التأثير الواضح للفراعنة على القاهرة هو محاكاة لتصميماتهم ونقوشهم تزين بها قاعات المطاعم أو ترسم على بعض الأقمشة.

ولعلى أكون مخطئًا فى ذلك. فهناك تأثير إيجابى فرعونى واضح، ذلك أن الشابات يضعن الكحل حول عيونهن التى هى واسعة أصلاً. كما أنهن - بحيلة فنية - يتوصلن إلى إرسال شعورهن السوداء على نمط شعر نوفرت الجالسة على الدوام بجوار زوجها الأمير رع حتب فى الغرفة رقم ٣٢ بالدور الأرضى فى المتحف.